

السؤال

أريد أن أعرف ما المقصود بحجارة الزيت ؟ ومن هم أهل حجارة الزيت الذين جاء ذكرهم في الحديث رقم : (3958) من سنن ابن ماجه؟

ملخص الإجابة

حجارة الزيت أو أحجار الزيت: موضع بالمدينة بالقرب منها، سمي بذلك لسواد الحجارة التي به كأنها طليت بالزيت.

1

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى ابن ماجه (3958)، وأحمد (21325) ، وابن حبان (6685)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوِّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ؟) - يَعْنِي الْقَبْرَ - قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - أَوْ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ: (تَصَبَّرْ) قَالَ: (كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ - قَالَ: (عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ) ثُمَّ قَالَ: (كَيْفَ أَنْتَ، وَقَتْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالْدَمِ؟) قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: (الْحَقُّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ) ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي، فَأُضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ: (شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذَا، وَلَكِنْ ادْخُلْ بَيْتَكَ) ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ دُخِلَ بَيْتِي؟ قَالَ: (إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شِعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيُبَوِّءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَنَّ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)

وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجه" ، وصححه محققو المسند على شرط مسلم.

قال السندي رحمه الله:

" (وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ) أَي: بِالْمَدِينَةِ .

(حَتَّى يُقَوِّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ) أَي: بِالْعَبْدِ، قِيلَ: الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ الْقَبْرِ، أَي: يُبَاعُ مَوْضِعُ الْقَبْرِ بَعْدَ وَصِيفٍ ، أَوْ لِيَبْلُغَ أَجْرَةَ الْحَقَّارِ قِيَمَةَ الْعَبْدِ لِكَثْرَةِ الْمَوْتِ وَقِلَّةِ الْحَقَّارِينَ وَاشْتِعَالِهِمْ بِالْمَعِيشَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ الْمُتَعَارَفُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْبُيُوتَ تَصِيرُ رَخِيصَةً لِكَثْرَةِ الْمَوْتِ، وَقِلَّةِ مَنْ يَسْكُنُهَا فَيُبَاعُ الْبَيْتُ بَعْدَ ، مَعَ أَنَّ الْبَيْتَ عَادَةً يَكُونُ أَكْثَرَ قِيَمَةً .

(عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ) أَي: لِكَفِّ النَّاسِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْحَرَامِ.

(حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالِدَّمِ) حِجَارَةُ الزَّيْتِ : مَوْضِعُ بِالْمَدِينَةِ فِي الْحَرَّةِ، سُمِّيَ بِهَا لِسَوَادِ الْحِجَارَةِ كَأَنَّهَا طُلِبَتْ بِالزَّيْتِ، أَي: الدَّمُ يَغْلُو حِجَارَةَ الزَّيْتِ وَيَسْتُرُهَا، لِكَثْرَةِ الْقَتْلِ، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى وَقْعَةِ الْحَرَّةِ الَّتِي كَانَتْ زَمَنَ يَزِيدَ .

(الْحَقُّ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ) أَي: بِأَهْلِكَ وَعَشِيرَتِكَ الَّذِي خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِهِمْ، أَي: ارْجِعْ إِلَيْهِمْ .

(إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَالْقُ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمُكَ، فَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) .

(إِنْ خَشِيتَ) فَمَكِّنْهُ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِلَّا بِأَنْ غَلَبَكَ ضَوْءُ السَّيْفِ وَبَرِيقُهُ فَغَطِّ وَجْهَكَ حَتَّى يَقْتُلَكَ.

قِيلَ: الْمُرَادُ الْإِخْبَارُ بِهَذِهِ الْوَقَائِعِ ، عَلَى احْتِمَالٍ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ لَعَلَّهُ يُدْرِكُهَا، وَإِلَّا فَأَبُو ذَرٍّ مَاتَ قَبْلَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ، فَإِنَّهُ مَاتَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، وَأَمَّا وَقُوعُ الْجُوعِ وَالْمَوْتِ بِالْمَدِينَةِ، فَيَحْتَمَلُ أَنَّهُ أَدْرَكَهَا أَبُو ذَرٍّ، لِأَنَّهُ وَقَعَ قَحْطٌ وَمَوْتُ بِهَا فِي عَامِ الرَّمَادَةِ وَغَيْرِهِ " انتهى باختصار.

" حاشية السندي على سنن ابن ماجه " (2/ 468)

وفي الحديث : الحث على البعد عن الفتن وأهلها، وصيانة النفس عن دماء المسلمين ، والإمساك عن الخوض فيها .

وروى أبو داود (1168) عَنْ عُمَيْرٍ، مَوْلَى بَنِي أَبِي اللَّحْمِ : " أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَسْقِي عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ، قَرِيبًا مِنَ الزُّورَاءِ قَائِمًا، يَدْعُو يَسْتَسْقِي رَافِعًا يَدَيْهِ قَبْلَ وَجْهِهِ، لَا يُجَاوِزُ بِهِمَا رَأْسَهُ " .

وصححه الألباني.

قال القاضي عياض في "المشارك" (1/ 220)

" أَحْجَارِ الزَّيْتِ: مَوْضِعُ بِالْمَدِينَةِ قَرِيبَ مِنَ الزُّورَاءِ، مَوْضِعُ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْاسْتِسْقَاءِ " انتهى .

وقال القاري في "المرقاة" (3/ 1109):

" أَحْجَارِ الزَّيْتِ : مَوْضِعُ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الْحَرَّةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِسَوَادِ أَحْجَارِهَا بِهَا كَأَنَّهَا طُلِبَتْ بِالزَّيْتِ "

وقال الزبيدي في "تاج العروس" (4/ 532):

"مَوْضِعُ بِالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَةِ، عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَهُوَ خَارِجُهَا".

ثانيا :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

"كَانَ سَبَبُ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ : أَنَّ وَفْدًا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَدِمُوا عَلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بِدِمَشْقَ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُمْ، وَأَطْلَقَ لِأَمِيرِهِمْ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ بْنِ أَبِي عَامِرٍ، قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا لِأَهْلِيهِمْ عَنْ يَزِيدَ مَا كَانَ يَقَعُ مِنْهُ مِنَ الْقَبَائِحِ فِي شُرْبِهِ الْخَمْرِ، وَمَا يَتَّبَعُ ذَلِكَ مِنَ الْفَوَاحِشِ الَّتِي مِنْ أَكْبَرِهَا تَرْكُ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا بِسَبَبِ السُّكْرِ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى خَلْعِهِ، فَخَلَعُوهُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ النَّبَوِيِّ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ سَرِيَّةً يَقْدُمُهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ، وَإِنَّمَا يُسَمِّيهِ السَّلَفُ مُسْرِفَ بْنَ عُقْبَةَ، فَلَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ اسْتَبَاحَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَقَتَلَ فِي غُيُونِ هَذِهِ الْأَيَّامِ بَشَرًا كَثِيرًا حَتَّى كَادَ لَا يَفْلِتُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَزَعَمَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ أَنَّهُ افْتَضَّ فِي غُيُونِ ذَلِكَ أَلْفَ بَكْرٍ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ عَنِ الْإِمَامِ مَالِكٍ: " قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ سَبْعُمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ ".

حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: " وَكَانَ فِيهِمْ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ ".

وقال ابن الأثير رحمه الله:

" كان سبب وقعة الحرة أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَنْظَلَةَ وَفَدَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَرَأَوْا مِنْهُ مَا لَا يَصْلَحُ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَخَذُوا مِنْهُ، فَارْجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَخَلَعُوا يَزِيدَ، وَبَايَعُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُبَيْرِ، وَوَأَفَقَهُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ الْمُرِّي، وَهُوَ الَّذِي سَمَاهُ النَّاسُ بَعْدَ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ مُجْرِمًا، فَأَوْقَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَقْعَةً عَظِيمَةً، قَتَلَ كَثِيرًا مِنْهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَقَتَلَ كَثِيرًا صَبْرًا، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْظَلَةَ مِمَّنْ قَتَلَ فِي الْمَعْرَكَةِ، وَلَمَّا اشْتَدَّ الْقِتَالُ قَدِمَ بَنِيهِ وَاحِدًا وَاحِدًا، حَتَّى قُتِلُوا كُلُّهُمْ، وَهُمْ ثَمَانِيَةُ بَنِينَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفَنَ سَيْفِهِ فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ " انتهى من "أسد الغابة" (3/ 219)

وينظر: "تاريخ الإسلام" (5/ 23)

والله تعالى أعلم .